بانضمامه اليه تمثيلا لحالهم وتصويرا لحقيقته فان قلت فما معنى قوله تجارتهم
وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متجرهم ايهم شيان سلامة
راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم هو الهدى فلو
بقي لهم مع الضلالة وجهين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح لان
ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضلال خاسر دائما ولانه لا يقال لمن لا
يسلم له راس ماله قد ربح • فما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمين
بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون • المجاز بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل
زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء والتطاير
شان يشبه الخفي في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل
في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد
وقمع لسورة الجامح الابي • ولا مرية ان الكرامة في كتابة اليمين وفي سائر كتبه امثاله
في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك
الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل
في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل
للقول السائر المثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا
بالتداول والتقول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم جرى فيه على من التعبير
بالتاويل فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد
نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام
للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كما تقول حالهم العجيبة الشان
كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك
من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها • ولله المثل الاعلى اي الوصف

الذي

الذي له شان من العظمة والجلالة ومثلهم في التولية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه
ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب
الشان فان قلت كيف تثلث الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم
كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع الطائر موضع الطائرين
ولا نحوه من الصفات اشتراك اللفظ الذي لكونه فضلة الى وصف كل معرفة بجملة فكان
وقوعه في كلامهم ولكونه مستغنيا لا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك تهكموا بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحذفها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه الذين
بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لان يادة الدلالة لا لانه ترى ان سائر الموصولات
لفظ الجمع والواحد فيها سواء واحدا وقصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد
نارا على ان النار فيهم وقوابلهم لم يشتعلوا بل انت المستوقد حقق بلحم منه تشبيه الجماعة بالواحد
انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد وحقه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت • ووقود النار ما يوقد
وترتفع فيها ومن اخواته فقل في الليل اذا صعد وعلى والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق
والنور ضوؤها بضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقهما من نار ينور اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا والنور مشتق منها • والاضاءة فرط الانارة وهو اقوى من ذلك قوله
وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية فيحتمل ان تكون عن متعدية
مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء • وفي
قراءة ابن ابي عبلة ضاءت • وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار فيجعل اسم
ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الاماكن
وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للقائم حوله لانه يزيد فان
قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني
انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه لاشتمال الكلام مع امن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)